محفزات السلوك التطوعي في الفقه الإسلامي

رجا غازي رجا العمرات[١] ومحمد غازي رجا العمرات[٢]
قسم التربية الإسلامية – جامعة اليرموك – الأردن[١]
قسم التربية الخاصة – كلية العلوم التربوية – جامعة جدارا – الأردن[٢]

المُلخّص

تهدف الدراسة الحاليّة من جهة المنهجيّة البحثيّة إلى الإجابة عن سؤالها الرئيس الآتي: ما محفزات السلوك التطوعي في الفقه الإسلامي؟ وجاءت الإجابة عن هذا السؤال بسبعة مباحث أبرزت أنّ الفقه الإسلامي يُحفز الأفراد والمجموعات لممارسة الأنماط السلوكيّة المرغوب فيها إجتماعيّاً من خلال: تفعيل مبادئ التجمع والإجتماع، وتوسيع القواسم المشتركة بين الأفراد والمجموعات، وترسيخ الفهم الصحيح لسنن المداولة، وتكوين نماذج الأسوة المهتدية القائمة على مبادئ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويستخدم كذلك أساليب: التشكيل السلوكي، والحثّ السلوكي، والتعزيز السلوكي؛ لدفع الأفراد والجماعات لممارسة الأنماط السلوكيّة المرغوب فيها إجتماعيّاً.

الكلمات المفتاحية: المحفزات، الدوافع، النمْذجة، التشكيل السلوكي، الحثّ السلوكي، التعزيز السلوكي.

مُقدّمة

الحمد لله مبتدأً وخبراً، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، أمّا بعد،،،

يُقسّم الفقهُ الإسلاميُ العبادات الشرعية إلى قسمين: عبادات خاصة تتمثل بأركان الإسلام الخمسة وحكمها الإلزام والوجوب، وعبادات عامة تتمثل "**بكل ما يحبه الله ويرضاه، من: الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة**" (ابن تيمية، ١٩٧٩، ج١: ص: ٣) وحكمها الوجوب والندب، والعلاقة بين القسمين علاقة دفع وتكامل، فالعبادات الخاصة يجب أن تدفع باتجاه العبادات العامة؛ تحقيقاً لقيم الإسلام ومبادئه العالمية، قال تعالى ﴿**وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ**﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وقال صلى الله عليه وسلم: "**من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر، لم يزدد من الله إلاّ بعداً**" (الطبراني، ١٩٨٣، رقم الحديث: ١١٠٢٥، ضعيف) كما أنّ العبادات العامة يجب أنْ تمكّن العبادات الخاصة وتصدّقها على الجوارح، قال صلى الله عليه وسلم: "**من لمْ يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أنْ يدع طعامه وشرابه**" (البخاري، ١٩٨٧، رقم الحديث: ١٨٠٤)، ويمكن تقسيم العمل التطوعي استناداً إلى تقسيم العبادات، إلى قسمين: عمل تطوعي خاص ومداره العبادات الخاصة ولا تتعدى دوائر نفعه في الغالب الحلقات الفردية وحكمه الندب، وعمل تطوعي عام مداره العبادات العامة وتتسع دوائر نفعه لتشمل الحلقات الفردية والمجتمعيّة والإنسانيّة العالميّة وحكمه العام الندب أيضاً.

يوسعُ الفقهُ الإسلاميُ من فهم النص المقدس: فكريّاً وعمليّاً ويضفي عليه مرونةً شرعيةً؛ تمكنه من التأثير المهتدي على الواقع المعيش بكلّ معطياته بدافع الحكم

البريد الالكتروني: dr_amrat@yahoo.com
ردمد: ٦٩٠٥-١٦٥٨

الشرعي، فالفكر الفقهي ينطلق انطلاقاً مهتدياً من المصدر وصولاً إلى تطبيق نصوص المصدر تطبيقاً خاصاً وعاماً؛ يُحقق قيم الاستخلاف والشهود الحضاري المسئول، وما حثُّ الفقهُ الإسلاميُ على العمل التطوعي العام إلاّ أُنموذجاً عمليّاً لفهم النص المقدس فهماً حضاريّاً مهتدياً يرسّخ في المجتمع المسلم قيم المنافسة على فعل الخيرات تعميماً لفائدة مخرجات هذا التنافس المضبوط بالمصدر لتشمل كلّ الحلقات الفرديّة والمجتمعيّة والإنسانيّة تدليلاً على عالميّة الإسلام وقابليته للتطبيق المهتدي على أرض الواقع.

أهداف الدراسة:

تهدفُ الدراسةُ الحاليّةُ إلى تحقيق مجموعة من الأهداف المنهجيّة، يتمثل بعضها بالآتي:

١- إبراز دور الفقه الإسلامي في تفقيه المجتمع بأهمية العمل التطوعي العام الذي ينقل المجتمع إلى مفهوم الجسد الواحد المترابط المتماسك الذي تتداعى لأجله كل الأعضاء؛ بغية نصرته وإصلاحه.

٢- إبراز أنواع المحفزات السلوكية التي يستخدمها الفقه الإسلامي في إثارة دافعية الأفراد والجماعات لممارسة الأنماط السلوكية المرغوب فيها إجتماعيّاً؛ بغية استثمارها في المؤسسة التربويّة المعاصرة.

٣- إبراز الدور الارتقائي للحكم الشرعي المندوب في توسعة فهم النص المقدس وصولاً به إلى مقام العالميّة والإنسانيّة.

سؤال الدراسة ومنهج بحثها:

يمكن تحديد مشكلة الدراسة الحاليّة بالسؤال الرئيس الآتي: ما محفزات السلوك التطوعي في الفقه الإسلامي؟ وتمّت الإجابة عن هذا السؤال باستخدام أكثر من منهج بحثي، فقد تمّ أستخدم المنهج الوصفي الاستقرائي في التعامل مع أمهات مصادر الفقه الإسلامي، وتمّ أستخدم المنهج التحليلي الاستنباطي في تحليل النصوص الفقهية واستنباط محفزات السلوك التطوعي منها.

التعريفات الإجرائيّة:

تضمن عنوان الدراسة بعض المصطلحات والتي يمكن تعريفها إجرائيّاً على النحو الآتي:

المحفزات: الأساليب التربويّة المنهجة التي يستخدمها الفقه الإسلامي؛ لإثارة دافعيّة الأفراد والجماعات لممارسة الأنماط السلوكيّة المرغوب فيها.

السلوك التطوعي: النمط السلوكي المندوب شرعاً والمرغوب فيه اجتماعياً والقائم على أساس تقديم عمليات الدعم والمساندة للآخرين متجاوزاً التكتلات الضيّقة والإثنيّات الفكريّة والاختلافات الإيديولوجيّة.

الفقه الإسلامي: الفهم الإسلامي المستكمل لشروطه جميعها في استنباط الأحكام الشرعيّة العمليّة من الأدلة التفصيليّة.

خطة البحث:

يشتمل البحث الحالي على: مقدمة، وسبعة مباحث، وخاتمة، وهي على النحو الآتي:

المبحث الأول: تفعيل مبادئ التجمع والاجتماع.

المبحث الثاني: توسيع القواسم المشتركة.

المبحث الثالث: فهم سنن المداولة.

المبحث الرابع: الدفع الجمعي والنمذجة.

المبحث الخامس: التشكيل السلوكي.

المبحث السادس: الحثّ السلوكي.

المبحث السابع: التعزيز السلوكي.

الخاتمة: تضمنت أهم نتائج البحث.

المبحث الأول: تفعيل مبادئ التجمّع والاجتماع:

يَدعو الفقه الإسلامي إلى تفعيل مبادئ التجمع والاجتماع حول المنهج الصحيح المتّبع، وهو من خلال تشريعاته المفعّلة على أرض الواقع المعيش على المستويات التنظيريّة والعمليّة ينبذ كلّ طرق الفرقة والاختلاف ويعدّها إسفيناً حاداً يشتت أوصال المجتمع؛ ويوصله إلى مرحلة الضعف وغياب التأثير الحضاري الفعّال، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]، فطاعة الله تعالى تتحقق بإتباع المنهج الذي بعث به رسوله صلى الله عليه وسلم، والصبر الصادق على هذا المنهج والالتفاف حوله على المستويات: التنظيريّة والعمليّة؛ حتى ينعم الفرد والمجتمع بمخرجات هذا التطبيق الفاعل للمنهج، أمّا الانكفاء على الذات وقطع شبكات الاتصال التي تربط الفرد بالمجتمع فليست من أساسيات المنهج؛ لأنّ المخالطة ومدُّ شبكات التفاعل بين الفرد والجماعة والصبر على هذا التفاعل، هو هدف رئيس من أهداف المنهج الذي يقود الفرد والمجتمع إلى مقام الأفضليّة، قال صلى الله عليه وسلم:" المؤمن الذي يُخالط النّاس، ويصبر على أذاهم، أفضل من المؤمن الذي لا يُخالط النّاس، ولا يصبر على أذاهم" (البيهقي، ١٩٩٤، رقم الحديث: ١٩٩٦١، صحيح). ولما كانت العبادات العامة والخاصة لها تأثيرها الواضح في تحقيق مبادئ المنهج الإسلامي وأهدافه وغاياته، يجد الناظر أنّ جلّ أهداف هذه العبادات وغاياتها تصبّ في بوتقة تفعيل مبدأ التجمّع والاجتماع الشرعي، قال الشاطبي (د.ت، ج٣: ص١٩٥): جاء "الأمر بالاجتماع، والنهي عن التفرقة؛ لما في الاجتماع من المعاني التي ليست في الانفراد: كالتعاون، والتظاهر، وإظهار أبّهة الإسلام وشعائره، وإخماد كلمة الكفر؛ ولذلك شرّعت الجماعات والجمعات، والأعياد، وشرّعت المواصلات بين ذوي الأرحام خصوصاً وبين سائر أهل الإسلام عموماً، وقد مدح الاجتماع وذمّ الافتراق وأمر بإصلاح ذات البين وذمّ ضدها وما يؤدي إليها إلى غير ذلك مما في هذا المعنى وأيضاً فالاعتبار النظري يقضي أنّ للاجتماع أمراً زائداً لا يوجد مع الافتراق".

يعدُّ الفقه الإسلامي الاجتماع أمراً ضرورياً للفرد والمجتمع على حدّ سواء، فمن خلاله يحقق الإنسان الكثير من مصالحه وتطلعاته: الدنيويّة والأخرويّة، قال ابن تيمية(د.ت – ب، ج٢٨: ص٦٢): "وكلّ بني آدم لا تتم مصلحتهم لا في الدنيا ولا في الآخرة إلاّ بالاجتماع والتعاون والتناصر؛ فالتعاون والتناصر على جلب منافعهم والتناصر لدفع مضارهم؛ ولهذا يقال الإنسان مدنيّ بالطبع فإذا اجتمعوا فلا بدّ لهم من أمورٍ يفعلونها يجتلبون بها المصلحة وأمور يجتنبونها لما فيها من المفسدة"، فالاجتماع ميزة المجتمعات المدنيّة والعمل التطوعي مؤشر واضح على التمدّن والتحضّر ومعلوم أنّ العمل التطوعي لا يحدث في تجمّع بشري يخلو من التفعيل الحقيقي لمبادئ الاجتماع المعتبرة المضبوطة بالمصدر وهذا يستوجب كمقدّمات للعمل التطوعي أنْ يُسبق بتفعيل حقيقي لمبادئ التجمّع والاجتماع المعدّلة بالمنهج؛ حتى يؤدي العمل التطوعي دوره المتوازن في تحقيق مصالح الفرد والمجتمع ويدفع عنهما القدر الممكن من المفاسد والمضار.

المبحث الثاني: توسيع القواسم المشتركة.

يقصد بالقواسم المشتركة، مجموع الحلقات الكبرى المتداخلة تداخلاً نسبياً تابعاً لتأثير الايدولوجيا والثقافة المعيشة بجميع مكوناتها الماديّة والفكريّة، والتي تجمع أفراد المجتمع؛ لينطلقوا منها انطلاقاً متمايزاً يوصلهم إلى الغايات الكبرى الجامعة. تعدّ القواسم المشتركة التي تربط مجموعات الأفراد – في كثير من الأحيان – عوامل جذب دافعةً لهم للتكاتف والتناصر والتعاون؛ بغية تحقيق المصالح والتطلعات المشتركة، ولعلّ من أكبر القواسم المشتركة التي تتجاوز حدود الزمان وجغرافية المكان: الايدولوجيا التي تصهر جميع المنتسبين إليها في بوتقة أخوّة المعتقد، قال تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠]، قال أبو السعود (د.ت، ج٨: ص١٢٠) في تفسير هذه الآية:" أي أنّهم منتسبون إلى أصل واحد، هو: الإيمان"، وهذا الأصل يوجب على المنضوين تحت لواء الايدولوجيا تفعيل مبدأ الحقوق والواجبات؛ تنظيماً لعلاقاتهم مع المنهج المعتمد من جهة وتنظيماً لعلاقاتهم التشعبيّة التي تربطهم مع بعضهم البعض ومع الوسط المحيط بكل تنوعه: المادي والبشري من جهة أخرى، فالكمال الإيديولوجي المطلوب تحقيقه يستوجب منْ أعضاء المجتمع الإيديولوجي الواحد تبادل افتراضي للأدوار الذاتية (فأنا أنت، وأنت أنا) تذويباً لمعيقات التكامل الفعّال وترسيخاً لمبدأ الحقوق والواجبات داخل المجتمع الإيديولوجي الواحد على الطريقة المعتبرة التي ترضي وجه الله تعالى، قال صلى الله عليه وسلم: "لا يؤمن أحدكم حتى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه"(مسلم، د.ت، رقم الحديث: ٤٥)، وجاء في شرح النووي على صحيح مسلم (١٣٩٢هـ، ج٢: ص١٧): "معناه: لا يكمل إيمان أحدكم حتى يحبّ لأخيه في الإسلام مثل ما يحبّ لنفسه والقيام بذلك يحصل بأنْ يحبّ له حصول مثل ذلك من جهة لا يزاحمه فيها بحيث لا تنقص النعمة على أخيه شيئاً من النعمة عليه، وذلك سهل على القلب السليم وإنّما يعسر على القلب الدغل، عافانا الله وإخواننا أجمعين".

يعدّ الفقه الإسلامي القواسم المشتركة محفزات سلوكيّة إيجابيّة تدفع إلى تكامل الأدوار والأعمال النظريّة والعمليّة؛ للنهوض بالفرد والمجتمع بصورة متوازنة؛ لتحقيق غايات القواسم المشتركة في الارتقاء والشهود الحضاري، قال المقدسي (١٤١٧هـ، ج١: ص٣٠٥): "للمسلم على المسلم، أنْ: يستر عورته، ويغفر زلّته، ويرحم عبرته، ويقيل عثرته، ويقبل معذرته، ويردّ غيبته، ويديم نصيحته، ويحفظ خلته، ويرعى ذمّته، ويجيب دعوته، ويقبل هديته، ويكافئ صلته، ويشكر نعمته، ويحسن نصرته، ويقضي حاجته، ويشفع مسألته، ويشمّت عطسته، ويردّ ضالته، ويواليه ولا يعاديه، وينصره على ظالمه، ويكفه عن ظلمه غيره، ولا يسلمه، ولا يخذله، ويحبّ له ما يحبّ لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه"، فهذه الصورة التكامليّة لمبدأ الحقوق والواجبات التي تضبط علاقة المسلمين بعضهم ببعض وتضبط علاقتهم بالمنهج المعتمد؛ ترتقي بالمسلم والمجتمع ايدولوجيّاً إلى مقام الإحسان الاجتماعي الذي يكون الكلّ مسئول فيه عن تفعل قيم ومبادئ التعاون وفعل الخيرات؛ تحقيقاً لأهداف الحياة الإسلاميّة المهتدية، قال تعالى ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧]. وليس من فقه المدنيّة في شيء أنْ تغلق عمليات الدعم والمساندة وفعل الخيرات في إطار دائرة إيديولوجيّة واحدة، بل يجبْ بدافع من الايدولوجيا

المعتمدة تنمية علاقات التعاون على فعل الخيرات بين الإيديولوجيات والثقافات الدينيّة الأخرى في الجوانب المدنيّة؛ تنميةً للمجتمع وتحقيقاً لغايات الاستخلاف الإنساني على الأرض، فقد جاء في المبسوط جواز "أنْ تُدفع صدقة الفطر إلى أهل الذمة" (السرخسي، د.ت، ج: ٣ ص: ١١١)؛ لأنّ من بين المقصود منها "سدّ خلة المحتاج ودفع حاجته بفعل هو قربة من المؤدي، وهذا المقصود حاصل بالصرف إلى أهل الذمة فإنّ التصدّق عليهم قربة بدليل التطوّعات؛ لأنّا لم نُنْهَ عن المبرّة لمنْ لا يقاتلنا، قال الله تعالى ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾[الممتحنة: ٨]، بخلاف المستأمن فإنّه مُقاتل وقد نُهينا عن المبرّة مع من يقاتلنا، قال الله تعالى ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾[الممتحنة: ٩]" (السرخسي، د.ت، ج: ٣ ص: ١١١)، وهذه النصوص تدلل على رقيّ العمل التطوعي في الإسلام ومدنيّته، ومرونته واتساع دوائره لتشمل التعددية الإيديولوجية؛ فتوسيع القواسم المشتركة بين المجموعات البشريّة يعدّ من فقه العمل التطوعي ومحفزاته التي تصل بالمجتمع إلى أعلى درجات الإحسان الاجتماعي.

المبحث الثالث: فهم سنن المداولة.

تعدّ مداولة الأيام بين الناس سنّة من سنن الله تعالى التي يُجريها على الأفراد والمجتمعات في الحياة؛ تحقيقاً لمبدأ التمحيص والاختبار الإلهي، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾[آل عمران: ١٤٠]، قال الألوسي (د.ت، ج٤: ص٦٨) في تفسير الآية: "نداولها بين النّاس: نصرفها بينهم فنديل لهؤلاء مرّة، ولهؤلاء أخرى... والمداولة سنّة مسلوكة فيما بين الأمم قاطبة إلى أنْ يأتي أمر الله تعالى"، فالإنسان لا يبقى على نمطٍ واحدٍ من أقدار الله تعالى فحياته دوران بين أقدار الله تعالى المتقابلة فهو يدور بين أقدار الشباب والهرم، وأقدار الصحة والسقم، وأقدار الغنى والفقر، وأقدار الفراغ والشغل، وأقدار الحياة والموت، وهو مطالب شرعاً باستثمار هذه الأقدار واغتنامها إلى أكمل مدى يرضي وجه الله تعالى؛ تحقيقاً لغايات الابتلاء والاختبار الإلهي، قال صلى الله عليه وسلم: "إغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك" (الحاكم، ١٩٩٠، رقم الحديث: ٧٨٤٦، على شرط البخاري ومسلم)، والإنسان بجميع هذه المتقابلات: متقابلات القوة ومتقابلات الضعف بحاجة أكيدة إلى عمليات الدعم الفردي والمجتمعي على المستويات: العلميّة والعمليّة، قال ابن القيم (د.ت، ص: ١٣): "المقصود من اجتماع النّاس وتعاشرهم: هو التعاون على البر والتقوى؛ فيعين كلّ واحد صاحبه على ذلك علماً وعملاً، فإنّ العبد وحده لا يستقلّ بعلم ذلك ولا بالقدرة عليه؛ فاقتضت حكمة الربّ سبحانه أنْ جعل النوع الإنساني قائماً بعضه ببعضه، معيناً بعضه لبعضه"، فبفطرة الاجتماع التي فطر الله تعالى الناس عليها يتعاون الكل المجتمعي لتحقيق مصالحهم وأهدافهم وتفادي الكثير من مشكلاتهم على المستويات: الفرديّة والمجتمعيّة؛ وليساهموا بوضع الحلول الفاعلة لمعالجتها. وتتباين دوافع الإنسان السلوكيّة الكامنة وراء تقديم عمليات الدعم والمساندة استناداً إلى مجموعة من العوامل: الإيديولوجيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والانفعاليّة، وبعض العوامل والظروف المتداخلة والمتشعبة التي يفرضها موقف عمليات الدعم والمساندة فبعض دوافع السلوك تكمن في النظر إلى عوائد عمليات الدعم

والمساندة المعنويّة منها والماديّة، فقد جاء في حديث أبي سعيد الخدري: "أنّ ناساً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، مرّوا بحيّ من العرب فلم يقروهم ولم يضيفوهم، فاشتكى سيدهم، فأتونا، فقالوا: هل عندكم دواء؟ قلنا: نعم، ولكن لم تقرونا، ولم تضيفونا، فلا نفعل حتى تجعلوا لنا جَعْلاً، فجعلوا على ذلك قطيعاً من الغنم، قال: فجعل رجل منّا يقرأ عليه بفاتحة الكتاب: فبرأ، فلمّا أتينا النبي صلى الله عليه وسلم، ذكرنا: ذلك له، قال:" وما يدريك أنّها رقية"، ولم يذكر نهياً منه، وقال: كلوا واضربوا لي معكم بسهم"(الترمذي،د.ت، رقم الحديث: ٢٠٦٤، صحيح)، فاستناداً إلى مفهوم التبادل الاجتماعي بين طرفين امتنع الطرف الأول (حي من العرب) عن تقديم عمليات الدعم والمساندة إلى الطرف الثاني (مجموعة من الصحابة) في البداية فلمّا طلب الطرف الأول من الطرف الثاني أنْ يقدّموا لهم عمليات الدعم والمساندة بعد ذلك وافق الصحابة ولكن شريطة أن يقدّم الطرف الأول عوائد ماديّة نتيجة لهذه المساعدة وعمليات الدعم وافتراضياً لو أقدم الطرف الأول من البداية على دعم الطرف الثاني ومساعدتهم لبادلهم الطرف الثاني في المرّة الثانية عمليات الدعم والمنفعة دون النظر إلى أيّة عوائد مادية ولكنّهم لما حبسوا عنهم عمليات الدعم والمساندة طلب الصحابة منهم عوائد ماديّة نظيراً لمساعدتهم ودعمهم، وفي إقرار الرسول صلى الله عليه وسلم لفعلهم دليل على صحته، ودليل على جواز أن يستخدم في الظروف والأحوال والمواقف المتشابهة التي تقدر بناء على معطيات الموقف وظروفه الخاصة، ولكن النّدب يحثّ على تفعيل مبدأ العفو والتجاوز عن أخطاء الآخرين ومقابلة إساءاتهم بإحسان.

تشكلّ الأنماط السلوكيّة الإيجابيّة سلسلة متحركة من عمليات الدفع والتحفيز والاستجابة فكلّ نمط سلوكي إيجابي من الفقه أنْ يَدفع إلى نمط سلوكي إيجابي آخر موازي له في المقدار أو يفوق عنه، والنمط السلوكي الجديد يكون في نفس الوقت سلوك استجابة للسلوك السابق، وسلوكاً دافعاً لسلوك جديد؛ وبذلك تدور عجلة السلاسل السلوكيّة الإيجابيّة في المجتمع، قال ابن تيمية (د.ت–أ، ج٢٩: ص٥٢١): "مقابلة الحسنة بمثلها عدل واجب، والزيادة إحسان مستحبّ، والنقص ظلم محرم، ومقابلة السيئة بمثلها عدل جائز، والزيادة محرّم، والنقص إحسان مستحبّ، فالظلم للظالم، والعدل للمقتصد، والإحسان المستحبّ للسابق بالخيرات، والأمة ثلاثة: ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات"، فمقابلة الحسنة بالحسنة وبالإحسان ومقابلة السيئة بالإحسان وبعمليات تعديل السلوك المناسبة؛ يسهم بترسيخ ثقافة المسابقة إلى فعل الخيرات في الحياة المجتمعية؛ الأمر الذي يجعل هذه الثقافة سمة مميزة للشخصيّة الإسلاميّة والمجتمع الإسلامي بشكل عام. وتعدّ مخرجات فعل الخيرات ونتاجاتها محفزات دافعة لممارسة الأنماط السلوكيّة وتكرارها، ففعل الخيرات تعود نتائجه في النهاية على الفرد نفسه وعلى المجتمع؛ بإعتبار أنّ الفرد جزء من الكلّ المجتمعي المسئول مسؤوليّة مباشرة عن الارتقاء به إلى مصاف التقدم والإحسان في كلّ المجالات باعتباره مكان: التجمّع والعيش وتطبيق المنهج، فحلقات فعل الخيرات تبدأ بالفرد، ثمّ تتسع لتشمل المجتمع، ثمّ تتسع لتشمل الإنسانيّة والعالميّة، ومع هذا الاتساع والامتداد ترتد نتاجات فعل الخيرات ومخرجاتها إلى الفرد والمجتمع والإنسانيّة، قال ابن تيمية (د.ت–أ،

ج: ٣٠ ص: ٣٦٤): "من أحسن إلى النّاس فإلى نفسه – أحسن –، كما يروى عن بعض السلف، أنّه قال: ما أحسنت إلى أحد، وما أسأت إلى أحد، وإنّما أحسنت إلى نفسي، وأسأت إلى نفسي، قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾[الإسراء: ٧]".

يدفع فهم سنّة المداولة بالصورة الشرعيّة الصحيحة إلى المسارعة إلى فعل الخيرات، فاستعدادات فعل الخيرات التي زوّد الله تعالى بها الفرد والمجتمع وقدراتها وإمكاناتها ومهاراتها استناداً إلى سنة المداولة قد يعتريها حال الضعف والقصور والتلاشي، فإذا ما باشر الإنسان استثمارها وتوجيهها الوجهة المطلوبة شرعاً ما عليه حينها من ذهابها أو تلاشيها ولا يعدّ حينها من المفرّطين الذين ألهتهم طول الآمال وسعة الرزق والصحة والفراغ والقوّة عن تأدية حقوق الله تعالى، وقدْ ينتقل الإنسان كذلك استناداً إلى سنّة المداولة من حال تقديم المساعدة والعون إلى حال طلبهما؛ فعليه أنْ لا يحبس فعل الخيرات عن المحتاجين حتى إذا وصل إلى ما وصلوا إليه وجد من يمدّ له يد العون والمساعدة استناداً إلى حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "البر لا يبلى، والإثم لا ينسى، والديّان لا يموت، فكن كما شئت، كما تدين تدان" (الصنعاني، ١٤٠٣هـ، رقم الحديث: ٢٠٢٦٢، ضعيف)، وعلى الفرد أنْ يعلم كذلك أنّ مخرجات فعل الخيرات يرتدّ نفعها على جميع الحلقات المتداخلة الفرديّة منها والمجتمعيّة والإنسانيّة والعالميّة، فهو بخدمة الآخرين ومساعدتهم يخدم نفسه ويساعدها: حاضراً ومستقبلاً.

المبحث الرابع: الدفع الجمّعي والنمذجة (القدوة).

يحثُّ الفقه الإسلامي على التجمّع؛ لأنّ الجماعة المهتدية تشكل عامل ضغط إيجابي يحفّز الفرد على ممارسة السلوك المرغوب فيه اجتماعيّاً، قال الغزالي(د.ت، ج١: ص: ٢٠٢): "الاجتماع بركة وله فضيلة بدليل الفرائض؛ ولأنّه ربما يكسل في الانفراد وينشط عند مشاهدة الجمع"، ولما كان للجماعة القدرة الكبيرة في التأثير على سلوك الفرد إيجاباً أو سلباً؛ ركّز الفقه الإسلامي على أهميّة أنْ يكون الاجتماع على مبادئ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ حتى تؤدي الجماعة دورها الفاعل في توجيه السلوك وتحفيزه وتعديله نحو المرغوب فيه اجتماعيّاً، قال ابن تيمية (١٣٨٦هـ، ج٢: ص: ١٦٣): "المخالطة إنْ كان فيها تعاون على البرّ والتقوى فهي مأمور بها، وإنْ كان فيها تعاون على الإثم والعدوان فهي منهي عنها"، وتكسب المجموعة قدرتها الكبيرة في التأثير على الفرد من قوّة القواسم المشتركة وتعددها التي تربط بين أفرادها وأعضائها؛ الأمر الذي يسهّل عليها توجيه الفرد نحو الأنماط السلوكيّة المرغوبة أو غير المرغوبة استناداً إلى أهداف التجمع وغاياته. وتقسم عمليات التحفيز استناداً إلى مبادئ الدفع الجمّعي والنمذجة إلى الأقسام الآتية:

أ– التحفيز الحيّ:

تستند عمليّة التحفيز الحيّ إلى مباشرة النموذج (المحَفِّز) للنمط السلوكي المرغوب فيه أمام الفرد المراد تحفيزه؛ استثارة لكوامنه لاكتساب هذا النمط السلوكي المرغوب فيه وتأديته، جاء في العهود المحمديّة: "أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أنْ نكون في أعمال الخير من أهل الرعيل الأول، فنبدأ بفعل الخير قبل النّاس مسارعةً للخير؛ ويستن بنا النّاس، وذلك كما إذا رأينا إنساناً يسأل الناس ولا أحد يعطيه شيء فنعطيه أمام الناس؛ تحريضاً لهم على العطاء ولا نعطيه

سرّاً" (الشعراني، ١٩٧٣، ص: ٦)، وهذا النوع من التحفيز لا يطلب من الفرد المراد تحفيزه تأدية الأنماط السلوكيّة التي قام بها النموذج وإنّما مجرّد مراقبتها فقط (الخطيب، ٢٠١٠، ص١٨٢)، وهذا واضح من النص السابق فقد تمّ تقديم الصدقة أمام النّاس دون مخاطبتهم بضرورة التصدّق والإقتداء الفوري بالنموذج.

ب– التحفيز الرمّزي:

يستند التحفيز الرمزي إلى وصف النموذج (المحَفِّز) لنمط سلوكي إيجابي قام به آخرون، أمام الفرد المراد تحفيزه؛ استثارةً لكوامنه لاكتساب هذا النمط السلوكي المرغوب فيه وتأديته، وقد ذكر البخاري (١٩٨٧، رقم الحديث: ٤٦٠٧) أنّ رجلا أتى الرسول الله صلى الله عليه وسلم" فقال يا رسول الله: أصابني الجَهْد، فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا رجل يضيّفه هذه الليلة؟ يرحمه الله"، فقام رجل من الأنصار، فقال: "أنا يا رسول الله، فذهب إلى أهله، فقال لإمرأته: ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخريه شيئاً، قالت: والله ما عندي إلا قوت الصبية، قال: فإذا أراد الصبية العشاء فنوميهم، وتعالي فأطفئي السراج ونطوي بطوننا الليلة، ففعلت، ثمّ غدا الرجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "لقد عجب الله عز وجل! أو ضحك من فلان وفلانة"، فأنزل الله عز وجل ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[الحشر: ٩]"، فالحديث الشريف السابق يمكن أنْ يذكر أمام من يراد تحفيزه لممارسة سلوكيات: التعاون على فعل الخير والمبادرة إلى فعل الخير وإكرام الضيف والقيام بحقوقه والإيثار وتقديم ذي الحاجة على النفس، فالتحفيز الرمّزي يعتمد أساساً على نقل صورة واضحة لنمط سلوكي أمام من يراد تحفيزه؛ للممارسة هذا النمط السلوكي المرغوب فيه.

ج – التحفيز من خلال المشاركة:

تستند عمليّة التحفيز من خلال المشاركة إلى مباشرة النموذج (المحَفِّز) للنمط السلوكي المرغوب فيه أمام الفرد المراد تحفيزه، ثمّ تكليفه بممارسة النمط السلوكي بأسلوب متدرج ومنظّم ومتكرر، وبهذا يتعاضد الجانب النظري مع الجانب التطبيقي؛ الأمر الذي يساعد على تثبيت النمط السلوكي المرغوب فيه وترسيخه؛ ليصبح سجيةً راسخةً تصدر عنها الأفعال والأقوال بسهولة ويسر، فعن مالك بن الحويرث قال: "أتينا النبي صلى الله عليه وسلم ونحن شَبَبة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلة، فظنّ أنّا إشتقنا أهلنا، وسألنا: عمن تركنا في أهلنا؟ فأخبرناه، وكان رقيقاً رحيماً، فقال: "ارجعوا إلى أهليكم فعلموهم، ومروهم، وصلّوا كما رأيتموني أصلي، وإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم، ثمّ ليؤمكم أكبركم" (البخاري، ١٩٨٧، رقم الحديث: ٥٦٦٢)، فالرسول صلى الله عليه وسلّم (نموذج الأسوة الحسنة الكامل) يقدم تطبيقاً عمليّاً مهتدياً للعبادات الشرعية: الخاصة منها والعامة يتطابق تطابقاً تاماً مع النص المقدس، الأمر الذي يسهم بترسيخ هذه الأنماط السلوكيّة الشرعية: الخاصة والعامة في بنية المتلقي العقلية ترسيخاً: نموذجيّاً وعمليّاً يزداد تأثيره بالممارسة والتطبيق المنتظم، فالصحابة الذين في الحديث الشريف تلقوا تطبيقا عمليّاً مهتدياً للعبادات الشرعية: الخاصة والعامة معدّلاً بأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله؛ خوّلهم بأنْ يكونوا نماذج بشريّة مهتدية قادرة بإحسان على نقل تطبيق الرسول صلى الله عليه وسلم النظري والعملي للآخرين. كما ويساعد أسلوب

الممارسة العمليّة الفرد على "تعلم السلوك الخلقي، والفضائل، والقيم، وآداب السلوك الاجتماعي، فأداء الفرد بنفسه لما يريد أنّ يتعلم؛ يساعد على سرعة التعلّم وإتقانه" (نجاتي، ١٩٨١، ص: ١٧١)، قال الغزالي (د.ت، ج٣: ص: ٥٨) في معرض حديثه عن الأخلاق المكتسبة غير الفطريّة: تكسب "الأخلاق بالمجاهدة والرياضة، وأعني به حمل النفس على الأعمال التي يقتضيها الخُلق المطلوب، فمن أراد مثلاً: أنْ يحصل لنفسه خلق الجود، فطريقه أنْ يتكلّف تعاطي فعل الجواد، وهو بذل المال فلا يزال يطالب نفسه ويواظب عليه تكلفاً مجاهداً نفسه فيه حتى يصير ذلك طبعا له ويتيسّر عليه فيصير به جواداً"، وأشار الغزالي (د.ت، ج٣: ص: ٥٨) أيضاً إلى أنّ الأخلاق تكسب "بالاعتياد ومخالطة المتخلّقين بهذه الأخلاق". يتميّز تأثير التحفيز من خلال المشاركة بقدرته على البقاء أطول فترة ممكنة بعد زوال المثير؛ وذلك لتعاضد الجانب النظري مع الجانب المهاري الأدائي في تثبيت النمط السلوكي المرغوب فيه، فتشكيل سلوك الكرم والبذل والعطاء مثلاً كما أشار الغزالي يتم من خلال: تطبيق أنموذج يصلح الاقتداء به وله حظوة اجتماعيّةٌ لهذا النمط السلوكي أمام الشخص المراد تحفيزه (مخالطة المتخلّقين بهذه الأخلاق)، حتى يعتاد هذا السلوك ويراه بأنه أمر طبيعي (بالاعتياد)، ثمّ يكلّف بتطبيق هذا النمط السلوكي بأساليب (المجاهدة، والرياضة)، فإذا ما تشكّل هذا النمط السلوكي أصبح طبعاً راسخاً وسجيةً دافعة لممارسته بسهولة ويسر (يصير ذلك طبعاً له ويتيسّر عليه).

يحسن التنبيه إلى أنّ عمليات تشكيل السلوك لا تفلح في الغالب إلاّ إذا وجدت رغبة ذاتية من الشخص المراد تحفيزه توصله إلى القيم الإيجابيّة والعوائد النفعيّة التي ستعود عليه نتيجة اكتساب هذا السلوك وتطبيقه، ثمّ لابد أنْ يكون النموذج الذي يُقدّم النمط السلوكي المراد إكسابه للآخرين يمتلك قوّة وكاريزما التأثير السلوكي، قال ابن حجر العسقلاني (١٣٧٩هـ، ج٣: ص: ٢٨٩) في خضمّ حديثه عن أفضلية صدقة العلن أم صدقة السر: "إنْ كان المتطوع ممن يُقتدى به ويتبع وتنبعث الهمم على التطوع بالإنفاق وسلم قصده فالإظهار أولى، والله أعلم".

تدفع عمليات النمذجة والدفع الجمعي إلى انخراط الأفراد في النسق الاجتماعي المضبوط بالمصدر؛ وهذا يحفزهم على تلقي الأنماط السلوكيّة المرغوبة اجتماعياً وتطبيقها وتبنيها؛ ما يرسّخ في المجتمع الإسلامي ثقافة تشكيل الأنماط السلوكيّة المرغوب فيها وتعديل المرغوب عنها؛ الأمر الذي يعمل على تحويل الأفراد إلى نماذج سلوكيّة مُهتدية يصلح الإقتداء بها اجتماعياً.

المبحث الخامس: التشكيل السلوكي.

يمكن تعريف أسلوب تشكيل السلوك، بأنّه: "الأسلوب الذي يعمل على إحداث سلوك جديد لا يوجد مُسبقاً لدى المتعلم، وذلك من خلال عدة إجراءات، تتمثل: في تحديد السلوك النهائي، ومن ثمّ تحليل السلوك أو تجزئته إلى عدد من الخطوات الفرعيّة، وتعزيز كلّ منها حتى يتحقق السلوك النهائي" (الخطيب؛ الحديدي، ٢٠٠٩، ص: ١٥٧)، فتعريف تشكيل السلوك يشير إلى مجموعة من العمليات التربويّة المنهجة التي تستخدمها المؤسسة التربويّة بصفتها الفرديّة أو الجماعيّة، لاستثمار بعض سلوكيات الفرد المستهدف سلوكيّاً المقصودة منها أو غير المقصودة ذات الصلة

بالسلوك المطلوب تشكيله، بغية تكوين سلوك مدخلي يساعد على تشكيل سلوك مبدئي عند الفرد المستهدف سلوكيّاً، ثمّ تعهد هذا السلوك الوليد بالوسائل التربوية المناسبة؛ للوصول به إلى مرحلة التكامل المطلوبة والقابلة للتعميم والنمذجة.

يُعدّ أسلوب تشكيل الأنماط السلوكيّة من الأساليب التربوية الممنهجة التي لها القدرة على رفد المجتمع بمجموعة متسلسلة ومترابطة من الأنماط السلوكيّة الإيجابيّة التي تسهم بإرتقاء المجتمع وإيصاله إلى درجة التحضّر والمدنيّة، وتقوم النماذج البشريّة المهتدية بممارسة هذا الأسلوب؛ لتشكيل سلوك الأفراد تشكيلاً مرغوباً فيه ومعدّلاً بالمصدر الصحيح المعتمد، ولما كان الفقه الإسلامي عبارة عن عمليات عقليّة معدّلة بالمصادر الشرعيّة العمليّة؛ فهو قادر وبإحسان على تقديم خطوات عمليّة لنماذج تشكيل سلوكيات الأفراد تشكيلاً سليماً يحقق أهداف التجمّع الإسلامي، ويمكن ذكر مثال توضيحي من الفقه الإسلامي يبيّن الخطوات العمليّة لتشكيل سلوك اجتماعي مرغوب فيه، من خلال الآتي:

أولاً: تحديد السلوك النهائي.

يقصد بالسلوك النهائي: السلوك المراد تشكيله لدى الفرد تشكيلا نهائياً قابلاً للممارسة، والتطبيق، والتعميم، والنمذجة، ويقصد به هنا: (سلوك الصدقة).

ثانياً: تحليل السلوك النهائي إلى مجموعة من الخطوات الفرعيّة.

يحسن فقهيّاً تجزئة السلوك النهائي إلى مجموعة من السلوكيات الفرعيّة: المتدرجة والمتسلسلة والمترابطة والمتكاملة التي يبنى فيها اللاحق على السابق بناءً منهجيّاً منظماً؛ حتى يتمّ تشكيل السلوك النهائي المرغوب فيه تشكيلاً منظّماً وقويّاً وقابلاً للديمومة بعد زوال المثير، فتشكيل سلوك الصدقة يمرّ بعدة خطوات فرعيّة متدرجة وصولاً إلى التشكيل النهائي المرغوب فيه، ويمكن ذكر بعض الخطوات الفرعية المتدرجة التي يعتمدها الفقه الإسلامي في عمليّة تشكيل سلوك الصدقة، من خلال الآتي:

١- ربط سلوك الصدقة بالأنماط السلوكيّة الدوريّة والمتكررة:

يتمّ تنبيه الفرد إلى السلوك المطلوب تشكيله من خلال ربطه بسلوك إيجابي آخر يمارسه الفرد بشكل دوري، قال ابن تيمية (د.ت-أ، ج: ٣٢ ص: ٢١٢): "من أكل بنيّة الاستعانة على عبادة كانَ مأجوراً على ذلك، وكذلك ما ينفقه على أهل بيته، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث: "نفقة المسلم على أهله يحتسبها صدقة" (البخاري، ١٩٨٧، رقم الحديث: ٥٥)، وقال صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبي وقّاص: "إنك لنْ تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلاّ ازددت بها درجة ورفعة، حتى اللقمة تضعها في فيّ إمرأتك" (البخاري، ١٩٨٧، رقم الحديث: ١٢٣٣). تجب نفقة الزوجة على الزوج، قال المرداوي (د.ت، ج: ٩ ص: ٣٥٢): "يجب على الرجل نفقة امرأته ما لا غنى لها عنه وكسوتها بالمعروف ومسكنها بما يصلح لمثلها، وليس ذلك مقدراً لكنّه معتبر بحال الزوجين"، ولما كان سلوك إنفاق الزوج على زوجته سلوكاً متكرراً يمارسه الزوج بشكل منتظم ودوري، تمّ الربط بينه وبين سلوك الصدقة بقاسم الإنفاق والبذل والعطاء؛ تنبيها له على سلوك الصدقة، وحتى يشكل ذلك سلوكاً مدخليّاً دافعاً للفرد

للالتزام بسلوك الصدقة بشكلٍ متكررٍ.

٢- ربط سلوك الصدقة بالأنماط السلوكيّة الاجتماعيّة المهمة:

يتمّ إثارة دافعية الفرد للسلوك المطلوب من خلال ربطه بأنماط سلوكيّة اجتماعيّة ذات بال في الفكر التربوي الإسلامي، قال صلى الله عليه وسلم: "إنّ صدقة السرّ؛ تطفئ غضب الرّب، وإنّ صنائع المعروف؛ تقي مصارع السوء، وإنّ صلة الرّحم؛ تزيد في العمر وتقي الفقر" (الطبراني، ١٤١٥هـ، رقم الحديث: ٩٤٣، صحيح)، يستثمر الفقه الإسلامي روابط الدم والقرابة؛ لتشكيل بعض الأنماط السلوكيّة المرغوب فيها المبنيّة على العدل والحق، من مثل سلوكيات: التعاون والتناصر والتآزر والتكاتف وتفعيل عمليات الدعم والمساعدة على أوسع نطاق، بينما الأنماط السلوكيّة المرغوب عنها المبنية على الظلم، والعنصريّة، والتعصب، والحميّة، فينبذها الفقه الإسلامي أيّما نبذ؛ لأنّها تعمل على شرخ وحدة المجتمع وتردي به في بوتقة التفتت والتكتلات الضيقة القائمة على أساس الصراع وطمس حقوق الآخر، يُعدُّ سلوك صلة الرّحم من بين أهم الأنماط السلوكيّة المتواجدة على سُلمية أفضل الأعمال الإسلاميّة الاجتماعيّة؛ لأنّه يلبي الكثير من حاجات الفرد الاجتماعيّة الفطريّة، ويدعم التجمّع باعتباره أهم حلقات مبادئ الأخوّة الإسلاميّة المطلوبة، قال المرداوي (د.ت، ج: ٢ ص: ١٦٢): "طلب العلم أفضل الأعمال لمن صحّت نيته، وبعده الجهاد، ثمّ بعد الجهاد إصلاح ذات البين، ثمّ صلة الرّحم، والتكسّب على العيال"، يتكون سلوك صلة الرّحم المتكامل من شقين: شق اجتماعي وشق مالي، ووفق مبدأ الحقوق والواجبات وانعكاسات النمط السلوكي الخاصة والعامة لا بدّ من تضافر الشقين معا لتكامل النمط السلوكي، قال صلى الله عليه وسلم: "إنّ الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرّحم اثنتان: صدقة وصلة" (النسائي، ١٩٨٦، رقم الحديث: ٢٥٨٢، صحيح)، فالرسول صلى الله عليه وسلّم أشار إلى الشقين بقوله: (صدقة، وصلة)، وتمّ تقديم الشق المالي لأهميته؛ ولأنّ كثيراً من النّاس قد يقتصرون على الشق الاجتماعي المعنوي، وترغيباً بضرورة القيام بشقي سلوك صلة الرحم: الاجتماعي والمالي، أكّد الرسول صلى الله عليه وسلّم على أنّ القيام بواجبات الشق الاجتماعي سبباً مباشراً لتحقيق ذات الفرد اجتماعيّاً (صلة الرّحم تزيد في العمر)، والقيام بواجبات الشق المالي سبب رئيس لتوسعة الرزق والحماية من شر الفقر وأضراره السلبية (صلة الرحم... تقي الفقر)، فترسيخ سلوك صلة الرّحم بشقيه الاجتماعي والمالي في الحلقات الاجتماعيّة الضيقة نسبيّاً واستناداً إلى أنّ الأنماط السلوكيّة ذات القيم العالية اجتماعياً المطبّقة في دوائر اجتماعيّة ضيقة نسبيّاً يمكن إنزالها إلى أوسع الحلقات الاجتماعيّة وأكثفها، يمكن تعميم سلوك الصدقة ليشمل حلقات اجتماعيّة أكبر مساحة وأكثف عداداً؛ الأمر الذي يجعل النمط السلوكي يتجاوز صلات الدم والقرابة المباشرة إلى صلات القرابة والأخوّة الإيديولوجيّة.

٣- توسعة حلقات النمط السلوكي:

يعملُ التشريع الإسلامي على فتح منافع الأنماط السلوكيّة على كل الحلقات والدوائر الاجتماعيّة تعميماً للفائدة، وتعزيزاً للصلات والروابط الاجتماعيّة، وسدّاً لذرائع التكتلات الاجتماعيّة المغلقة، فسلوك الصدقة

مثلاً فتحت منافعه على ثمانية أصناف متنوعة، قال تعالى ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[التوبة: ٦٠]، وأيّ عمليّة تشكيل سلوك ناجحة يحسن أنْ تبدأ بتدرج من الحلقة الأضيق وصولاً إلى الحلقة الأوسع وهذا الإجراء السلوكي انتهجته الأحكام الفقهيّة في علميّة تشكيل سلوك الصدقة، فهي بدأت عمليات تشكيل السلوك من دائرة الأسرة، قال صلى الله عليه وسلم: "نفقة المسلم على أهله يحتسبها صدقة" (البخاري، ١٩٨٧، رقم الحديث: ٥٥) إلى دائرة القرابة وصلة الرّحم، قال صلى الله عليه وسلّم:" إنّ الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرّحم اثنتان: صدقة وصلة" (النسائي،١٩٨٦، رقم الحديث: ٢٥٨٢، صحيح) إلى دائرة الجيران، والبيئة المحيطة، قال ابن نجيم (د.ت، ج: ٢ ص: ٢٦٢): "ويبدأ في الصدقات بالأقارب، ثمّ الموالي، ثمّ الجيران"، إلى دائرة عموم المسلمين، وَرَدَ عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنّه قال: "خيركم من أطعم الطعام: للإخوان والجيران والفقراء والمساكين" (المناوي، ١٣٥٦هـ، ج٣: ص٤٩٦) إلى دائرة غير المسلمين، قال السرخسي (د.ت، ج: ١٠ ص: ١٨٩): "والتصدّق على أهل الذمة قُربة"، فتشكيل سلوك الصدقة يبدأ من تشكيل السلوك المدخلي الأوّلي داخل الأسرة وصولاً إلى التشكيل النهائي للسلوك القابل للتعميم والنمذجة، وفي ذلك دليلٌ واضحٌ على عالميّة التشريع الإسلامي، وإنسانيّته، ومرونته، وقابليته للتطبيق الفعلي العادل.

ثالثاً: التدرّج.

تمرّ عملية تشكيل السلوك بمراحل متدرجة تنتقل فيها العمليّة من الجزء إلى الكل؛ تثبيتاً للحمل السلوكي المرحلي وتمكيناً له وترغيباً بممارسته وتطبيقه، أمّا تقديم الحمل السلوكي ككل متكامل دفعة واحدة دون وجود تهيئة سلوكية تسبق عملية التشكيل يعدّ أسلوباً طارداً لعمليّات التشكيل والتقبّل والممارسة، فعن السيدة عائشة رضي الله عنها أنّها قالت:" إنّما نزل أوّل ما نزل من القرآن سورة من المفصّل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب النّاس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أوّل شيء لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنا أبداً" (البخاري، ١٩٨٧، رقم الحديث: ٤٧٠٧)، ولما كان غالبيّة الناس متعلقين بالمال يسعون إلى جمعه واقتناءه، قال تعالى ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾[الفجر: ٢٠]، وقال الطبري (د.ت، ج١٢: ص٥٧٥) في تفسير الآية: "وتحبون جمع المال أيّها الناس، واقتناءه حبّاً كثيراً شديداً"، فتشكيل سلوك الصدقة لا يكون بتكليف النّاس بالتصدّق بجلّ ما يملكون، ولا بالتصدّق "بكرائم أموالهم" (طرف من حديث في البخاري، ١٩٨٧، رقم الحديث: ١٣٨٩)؛ لأنّ ذلك يشكل طارداً سلوكيّاً يمنعهم عن ممارسة هذا السلوك وتعميمه. يعدّ الفقه الإسلامي سلوك الصدقة من السلوكيات المفتوحة التي بمقدور الجميع ممارستها؛ لأنّ مقدار الصدقة متروك أمره للمتصدق كلّ حسب ظروفه وأحواله الخاصة، فهو يعدّ التعبيرات الانفعاليّة والنفسيّة صدقة، قال صلى الله عليه وسلم: "لا تحقرنّ من المعروف شيئاً ولو أنْ تلقى أخاك بوجه طلق" (مسلم، د.ت، رقم الحديث: ٢٦٢٦)،

ويركّز الفقه الإسلامي على نيّة المتصدق وعلى مصدر مال الصدقة وعلى الجهة التي سيدفع إليها أكثر مما يركّز على مقدار الصدقة، بل جاءت الأفضليّة لقليل الصدقة على كثيرها؛ ترغيباً بممارسة السلوك وتكراره؛ ولأنّ القليل الدائم خيرٌ من الكثير المنقطع، وفي مقياس النتائج القليل الدائم، هو: كثيرٌ وفيرٌ، قال صلى الله عليه وسلم:" أفضل الصدقة جهد المقلّ" (أبو داوود، د.ت، رقم الحديث: ١٤٤٩، صحيح)، وقال صلى الله عليه وسلم: إتقوا النّار ولو بشق تمرة" (البخاري، ١٩٨٧، رقم الحديث: ١٣٥١)، وقال صلى الله عليه وسلم: "منْ تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يصعد إلى الله إلاّ الطيب، فإنّ الله تعالى يقبلها بيمينه، ثمّ يربيها لصاحبها، كما يربّي أحدكم فلوه، حتى تكون مثل الجبل" (البخاري، ١٩٨٧، رقم الحديث: ٦٩٩٣)، ويشير كذلك إلى النهاية العظمى التي يُنْدب أنْ تقف عندها مقدار الصدقة، وهي: الثلث، وهي نقطة التوازن والعدل التي تجمع كل أطراف سلوك الصدقة: المتصدق، والصدقة، والمتصدق عليهم، والورثة والأقارب العصبة، فعن سعد بن أبي وقّاص رضي الله عنه قال: "جاء النبي صلى الله عليه وسلم يعودني، وأنا بمكة، وهو يكره أنْ يموت بالأرض التي هاجر منها، قال: "يرحم الله ابن عفراء"، قلت يا رسول الله: أوصي بمالي كله؟ قال: "لا "، قلت: فالشطر؟ قال: "لا "، قلت: الثلث؟ قال: "فالثلث والثلث كثير، إنّك إنْ تدع ورثتك أغنياء خيرٌ من أنْ تدعهم عالة يتكففون الناس في أيديهم، وإنّك مهما أنفقت من نفقة فإنّها صدقة، حتى اللقمة التي ترفعها إلى في إمرأتك، وعسى الله أنْ يرفعك؛ فينتفع بك ناس، ويضرّ بك آخرون" (البخاري، ١٩٨٧، رقم الحديث: ٢٥٩١). ويجوز أنْ يخرج المتصدق كلّ ماله ولكن المندوب فقهياً أنْ لا يفعل" لأنّ الإنسان إذا أخرج جميع ماله لا يأمن فتنة الفقر وشدّة نزاع النفس إلى ما خرج منه؛ فيندم فيذهب ماله، ويبطل أجره، ويصير كلاً على الناس، ويُكره لمن لا صبر له على الإضافة أنْ ينقص نفسه من الكفاية التامة، والله أعلم" (ابن قدامه، ١٤٠٥هـ، ج: ٢ ص: ٣٦٩).

يشكّل الفقه الإسلامي سلوك الصدقة من خلال أسلوب التدرّج، فهو تدرج ابتداءً من الصدقة بالتعبيرات الانفعاليّة مروراً إلى أفضلية الصدقة بالقليل والنزر اليسير، وندباً إلى الوقوف عند ثلث المال كنهاية عظمى مع فتح باب الصدقة بجلّ المال، ولكنْ بحذر شديد؛ لأنّ ذلك قد يلحق بالمتصدّق الكثير من الأضرار: الماديّة والمعنويّة؛ التي قد تفسد السلوك في النهاية. يعدّ أسلوب التدرج من الأساليب التربويّة الناجعة التي تسهم بتشكيل السلوك المرغوب فيه تشكيلاً متيناً ونسقيّاً مهتدياً برفع حلقات السلوك بعضها فوق بعض وصولاً إلى السلوك العام القابل للممارسة والتعميم والنمذجة.

رابعاً: التعزيز.

يحسن فقهيّاً أنْ ترفد عمليّة تشكيل سلوك الصدقة بمعززات: ماديّة، واجتماعيّة، ورمزيّة مناسبة في كل مرحلة من مراحل تشكيل النمط السلوكي؛ تقعيداً للسلوك وتثبيتاً وتقويةً له، وحتى يكسب الفرد المعزز انطباعاً إيجابيّاً يدفعه لممارسة السلوك وتكراره، فحديث الرسول صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبي وقّاص: "إنّك لنْ تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله، إلاّ ازددت بها

درجة ورفعة حتى اللقمة تضعها في فيّ امرأتك" (البخاري، ١٩٨٧، رقم الحديث: ١٢٣٣)، يشير إلى مجموعة من المعززات الاجتماعيّة والرمزيّة، تتمثل بقوله صلى الله عليه وسلم (ازددت بها درجة ورفعة)، فكلما تكرر سلوك الصدقة كلما زادت درجة الأجر والرفعة؛ وهذا دافع طردي يدفع نحو ممارسة السلوك وتكراره، وفي حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: "إنّ صدقة السر؛ تطفئ غضب الربّ، وإنّ صنائع المعروف؛ تقي مصارع السوء، وإنّ صلة الرّحم؛ تزيد في العمر وتقي الفقر" (الطبراني، ١٤١٥هـ، رقم الحديث: ٩٤٣، صحيح)، مجموعة أخرى من المعززات الماديّة والاجتماعيّة يمكن إجمالها بالآتي، أولاً: تحقيق مرضاة الله تعالى، وهو هدف غاية خلق الله الإنسان لأجله ويسعى طوال حياته؛ لتحقيقه، ثانياً: الوقاية من المصائب: الماديّة والاجتماعيّة والنفسيّة، ثالثاً: تحقيق الذات، هو حاجة من الحاجات الرئيسة التي يسعى الإنسان إلى تلبيتها استناداً إلى هرم ماسلو للحاجات (ماسلو: عالم نفس أمريكي ١٩٠٨- ١٩٧٠م وضع نظاماً هرمياً للحاجات الإنسانية وجعل على رأسه تحقيق الذات)، رابعاً: سعة الرزق، والوقاية من أضرار الفقر السلبيّة، فكلّ هذه المعززات المتنوعة تشكل دافعاً رئيساً لتلقي سلوك الصدقة، وممارسته، وتبنّيه، وتعميمه، وفي الحديث الوارد عن علي رضي الله عنه: "خيركم منْ أطعم الطعام: للإخوان، والجيران، والفقراء، والمساكين" (المناوي، ١٣٥٦هـ، ج٣: ص: ٤٩٦)، دعوة إلى توسيع حلقات سلوك الصدقة إلى أوسع مدى اجتماعي ممكن؛ حتى يحقق الفرد مقام الخيرية: الدنيويّة والأخرويّة، وهذا مقام الأمّة الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر، فتمّ رفع الفرد إلى مقام الجماعة الفاعلة المهتدية؛ تحفيزاً له على ممارسة سلوك الصدقة إلى أوسع مدى اجتماعي ممكن. ومن فقه عمليات تشكيل السلوك أنْ تعضد كل مرحلة من مراحل تشكيل السلوك بالمعززات: الماديّة والاجتماعيّة والرمزيّة المناسبة والمتنوعة والمحفّزة غير المشبع منها، دعوةً إلى اكتساب السلوك المرغوب فيه وتقويته وتكراره.

تمرّ عملية تشكيل السلوك المرغوب فيه بمجموعة من الحلقات المتداخلة التي بتجمّعها يتكون السلوك النهائي المرغوب فيه، فلابدّ أولاً كخطوة افتتاحية من تحديد السلوك النهائي المطلوب تشكيله، وبعد ذلك يجب أنْ يتم تجزئته إلى مراحل سلوكيّة فرعيّة ذات صلة بالسلوك النهائي، ثمّ الانتقال من حلقة سلوكيّة إلى أخرى بأسلوب متدرّج مُمنهج يراعي طاقات الفرد وقدراته وجميع ظروفه، مع مراعاة تقديم المعززات المتنوّعة لكلّ مرحلة سلوكيّة يتخطاها الفرد؛ تحفيزاً له على متابعة سلسلة الحلقات السلوكيّة الفرعيّة المرغوبة، وصولاً به إلى السلوك النهائي العام الذي يصلح للبقاء والاستمرار والتعميم بعد زوال المثير.

المبحث السادس: الحثّ السلوكي.

يمكن تعرف أسلوب الحثّ السلوكي، بأنّه: "الأسلوب الذي يتضمن تقديم مثير يُحفّز المتعلم على القيام بالاستجابة المطلوبة، خاصة إذا أُتبع أسلوب الحثّ بالمعزز المناسب" (الروسان، ٢٠٠١، ص: ١١٨)، فهذا الأسلوب يقوم على آلية تقديم مثير موجه ومقصود يساعد الفرد ويوجهه للقيام بالسلوك المرغوب فيه، وتعدّ حاجة المحتاج في الفقه الإسلامي هي المثير المحفّز الموجه الذي يجبْ على أثره أنْ يُبادر المسلم

لتقديم أحسن عمليات الدعم والمساندة للمحتاجين بقوة الباعث الإيديولوجي الذي يفرض على المسلم المسارعة لممارسة هذه الأنماط السلوكيّة المرغوبة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم:" من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سأل بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفاً؛ فكافئوه، فإنْ لم تجدوا ما تكافئوا به فادعوا له حتى تروا أنّكم قدْ كافأتموه"، (أبو داوود، د.ت، رقم الحديث: ١٦٧٢، صحيح) وقال العظيم آبادي (١٤١٥هـ، ج١٤: ص: ٩) في شرح (فأعيذوه)، أي: "أعينوه، وأجيبوه، فإنّ إغاثة الملهوف فرض"، فبمثير من الإيديولوجيا يجبْ أنْ يبادر الفرد إلى تقديم يد المساعدة والعون لكل محتاج بغض النظر عن الإثنيات الضيّقة. يُقسم أسلوب الحثّ السلوكي إلى ثلاثة أقسام، يمكن توضيحها على النحو الآتي:

أولاً: الحثّ اللفظي.

يُقصد بالحثّ اللفظي: تقديم المساعدة اللفظية، ووضع الحلول والبدائل السلوكيّة المناسبة التي تعمل على تحقيق السلوك المرغوب فيه، فعن أبي ذر الغفاري أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "ليس من نفس ابن آدم إلاّ عليها صدقة في كلّ يوم طلعت فيه الشمس"، قيل: يا رسول الله ومِنْ أين لنا صدقة نتصدق بها ؟ فقال صلى الله عليه وسلم: "إنّ أبواب الخير لكثيرة: التسبيح، والتحميد، والتكبير، والتهليل، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتميط الأذى عن الطريق، وتسمع الأصم، وتهدي الأعمى، وتدلّ المستدل على حاجته، وتسعى بشدة ساقيك مع اللهفان المستغيث، وتحمل بشدة ذراعيك مع الضعيف، فهذا كله صدقة منك على نفسك" (البستي، ١٩٩٣، رقم الحديث: ٣٣٧٧، على شرط مسلم)، فالرسول صلى الله عليه وسلم حثَّ الصحابة لفظيّاً، وحفّزهم على ممارسة سلوك الصدقة اليوميّة، بقوله: (ليس مِنْ نفس ابن آدم إلاّ عليها صدقة في كلّ يوم طلعت فيه الشمس)، ولما حصر الصحابة تفكيرهم بالحلول الماليّة التي تتعذر على الكثير منهم لضيق ذات اليد (ومن أين لنا صدقة نتصدق بها؟)، وسّع الرسول صلى الله عليه وسلم مداركهم العقليّة، ووضع لهم مجموعة من الحلول والخيارات السلوكيّة التي بممارستها؛ يحققون غاية الحديث السلوكيّة العامة (الصدقة اليوميّة)، قال صلى الله عليه وسلم (إنّ أبواب الخير لكثيرة...)، فالرسول صلى الله عليه وسلم أرشدهم لفظاً في الموقف التعليمي الحاضر إلى الخطوات العمليّة والبدائل السلوكيّة التي بممارستها؛ يصلون إلى تحقيق السلوك النهائي المرغوب فيه.

ثانياً: الحثّ الإيمائي.

يُقصد بالحثّ الإيمائي: تقديم المساعدة الإيحائية للفرد؛ لكي يحقق السلوك المرغوب فيه، ويقوم أسلوب الحثّ الإيمائي في الغالب على استخدام لغة الجسد وتعبيراته؛ حثاً للفرد على ممارسة السلوك المرغوب فيه، فعن كعب بن مالك رضي الله عنه: أنّه كان له على عبد الله ابن أبي حدرد الأسلمي ديّنٌ، فلقيه، فلزمه، فتكلما حتى ارتفعت أصواتهما، فمرّ بهما النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: "يا كعب، وأشار بيده، كأنّه يقول: النصف، فأخذ نصف ما عليه وترك نصفاً"(البخاري،١٩٨٧، رقم الحديث: ٢٢٩٢)، فالرسول صلى الله عليه وسلم حثّ كعباً رضي الله عنه باستيفاء نصف دينه من خلال الإشارة التعبيريّة (وأشار

بيده، كأنّه يقول: النصف)، فطبّق كعباً رضي الله عنه السلوك المرغوب فيه، وهو: استيفاء نصف الدَين (فأخذ نصف ما عليه وترك نصفاً).

ثالثاً: الحثّ الجسمي:

يُقصد بالحثّ الجسمي: تقديم المساعدة الجسميّة للفرد؛ لكي يحقق السلوك المرغوب فيه، وهذا أمر مندوب في الفقه الإسلامي، ويعدّ من باب التعاون على فعل الخيرات، قال ابن القيم (١٩٧٣، ج١: ص: ١٢١): "والمستحب... الإحسان بيده: بأنْ يعين صانعاً، أو يصنع لأخرق، أو يفرغ من دلوه في دلو المستسقى، أو يحمل له على دابته، أو يمسكها حتى يحمل عليها، أو يعاونه بيده فيما يحتاج له، ونحو ذلك"، وفيما يروى عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنّه قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجلٌ، فقال: هلكت، قال: "ولم "؟ قال: وقعت على أهلي في رمضان، قال: "فأعتق رقبة "، قال: ليس عندي، قال: "فصم شهرين متتابعين"، قال: لا أستطيع، قال: "فأطعم ستين مسكيناً"، قال: لا أجد، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم بعرقٍ فيه تمر، فقال: " أين السائل؟ قال: ها أنا ذا، قال: "تصدّق بهذا"، قال: على أحوج منّا يا رسول الله! فو الذي بعثك بالحقّ ما بين لابَتيّها أهل بيت أحوج منّا، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت أنيابه، قال: فأنتم إذًا [أي: أنتم حينئذ أحقّ بهذا التمر]" (البخاري، ١٩٨٧، رقم الحديث: ٥٠٥٣)، فالرسول صلى الله عليه وسلم حثّ الرجل على سلوك المسارعة إلى التكفير عن ذنبه، ولكن لما كان الرجل لا يمتلك قدرات تكفير الذنوب: الماليّة والبدنيّة؛ ساعده الرسول صلى الله عليه وسلم بأن زوّده بمقدار التكفير المالي؛ لكي ينجح في تحقيق السلوك المطلوب، وهو: التكفير عن ذنبه.

ويمكن ذكر مثال يوضح عناصر أسلوب الحثّ السلوكي مجتمعة، فعن المنذر بن جرير عن أبيه قال: كنّا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر النهار، قال: فجاءه قومٌ حفاةٌ عراةٌ مجتابي النمار أو العباء متقلدي السيوف عامتهم من مُضر، بل كلهم من مُضر، فتمعّر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لما رأى بهم من الفاقة، فدخل ثمّ خرج، فأمر بلالاً فأذّن وأقام، فصلى، ثمّ خطب، فقرأ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[النساء: ١]، وقرأ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[الحشر: ١٨]، تصدّق رجل من دينار من درهمه من ثوبه من صاع بُرّه من صاع تمره، حتى قال: ولو بشقّ تمرة، قال: فجاء رجل من الأنصار بصرّة كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت، قال: ثمّ تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعامٍ وثياب، رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يتهلل كأنّه مذهبه" فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من سنّ في الإسلام سنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أنْ ينقص منْ أجورهم شيء، ومنْ سنّ في الإسلام سنّة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده منْ غير أنْ ينقص منْ أوزارهم شيء" (مسلم، د.ت، رقم الحديث: ١٠١٧)، وتتضح عناصر أسلوب الحثّ السلوكيّ الواردة في الحديث الشريف السابق،

بالآتي:

١- **المثير**: حالة القوم البائسة: (فجاءه قومٌ حفاةٌ عراةٌ مجتابي النمار أو العباء).

٢- **سرعة الاستجابة للمثير**: تغيرت تعبيرات وجه الرسول صلى الله عليه وسلم الشريف، وباشر لمساعدتهم من ساعته: (فتمعّر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لما رأى بهم من الفاقة، فدخل ثمّ خرج، فأمر بلالاً فأذّن، وأقام، فصلى).

٣- **الحثّ اللفظي**: استخدم الرسول صلى الله عليه وسلم أسلوب الحثّ اللفظي لمساعدة القوم ولرفع ما نزلَ بهم من فاقةٍ وفقرٍ: (خطب، فقرأ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ وقرأ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾، تصدّق رجل من دينارِه من درهمه من ثوبه من صاع بُرّه من صاع تمره، حتى قال: ولو بشقّ تمرة).

٤- **الحثّ الإيمائي**: تهلل وجه الرسول صلى الله عليه وسلم الشريف سروراً بفعل الصحابة رضوان الله عليهم ومسارعتهم لدفع فاقة القوم وَحثّاً لهم رضي الله عنهم للاستمرار في تقديم عمليات الدعم والمساندة: (رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم: يتهلل كأنّه مذهبه)، وقال النووي (١٣٩٢هـ، ج٧: ص: ١٠٣): "وأمّا سبب سروره صلى الله عليه وسلم؛ ففرحاً بمبادرة المسلمين إلى طاعة الله تعالى وبذل أموالهم لله وامتثال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولدفع حاجة هؤلاء المحتاجين وشفقة المسلمين بعضهم على بعض، وتعاونهم على البر والتقوى، وينبغي للإنسان إذا رأى شيئاً من هذا القبيل أنْ يفرح ويُظّهر سروره".

٥- **الحثّ الجسمي**: لعبت عمليات النمذجة والدفع السلوكي: القوليّة منها والفعليّة دوراً إيجابياً في حثّ الصحابة وتحفيزهم على التشارك والتعاون؛ لرفع حاجة القوم وسدّ فاقتهم كلّ حسب طاقته وقدرته: (قال: فجاء رجل من الأنصار بصرّة كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت، قال: ثمّ تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعامٍ وثياب).

٦- **التعزيز الختامي**: عزز الرسول صلى الله عليه وسلم الصحابة تعزيزاً فورياً مكافأة لهم على تعاونهم وتناصرهم ومبادرتهم المهتدية لرفع حاجة القوم وسدّ فاقتهم؛ ودفعاً لهم كذلك على تبني هذا النمط السلوكي وتكراره، كما عاقب الرسول صلى الله عليه وسلم النماذج السلبيّة التي تشيع روح التخاذل في المجتمع الإسلامي؛ نَهياً لهم ولغيرهم عن ممارسة هذه الأنماط السلوكيّة السلبيّة:(فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من سنّ في الإسلام سنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنّ في الإسلام سنّة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أنْ ينقص من أوزارهم شيء).

يعدّ أسلوب الحثّ السلوكي من الأساليب التربويّة التي تسهم؛ بتحفيز الأفراد واستنهاض طاقاتهم

وقدراتهم؛ لتحقيق الأنماط السلوكيّة المرغوب فيها، وهذا الأسلوب يعتمد في تحقيق أهدافه السلوكيّة على تقديم مثيرات مقصوده وموجه، وعلى استخدام أساليب الحث: اللفظي أو الإيمائي أو الجسمي؛ لجعل الأفراد يستجيبون للمثيرات استجابة سريعة ومتقنة؛ بغية تحقيق الأنماط السلوكيّة المرغوب فيها، ثمّ تقديم عمليات التعزيز المتنوعة مكافأةً لهم على تحقيق الأنماط السلوكيّة المرغوب فيها وحثّاً لهم على ممارستها وتكرارها.

المبحث السابع: التعزيز السلوكي.

يُقصد بالتعزيز؛ تلك العمليّة السلوكيّة التي تشتمل على تقوية السلوك المرغوب فيه وتكراره، فالإنسان يميل إلى تكرار السلوك الذي يعود عليه بنتائج إيجابيّة أو يخلّصه من التعرض لنتائج سلبيّة (الخطيب، د.ت، ص: ٣٧)، ويستخدم القرآن الكريم والسنّة النبويّة أسلوب التعزيز على أوسع مدى؛ لإثارة دافعيّة الأفراد من كلا الجنسين ومن كل الفئات العمريّة؛ لممارسة الأنماط السلوكيّة المهتدية المرغوب فيها، فيعزز القرآن والسنة – على سبيل المثال – سلوك عمارة المساجد: الماديّة والمعنويّة؛ دفعاً لممارسة هذا السلوك على جميع مستوياته، قال تعالى ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ. رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ. لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[النور:٣٦: ٣٧: ٣٨]، وقال صلى الله عليه وسلم: "منْ بنى مسجداً يبتغي به وجه الله؛ بنى الله له مثله في الجنّة" (البخاري، ١٩٨٧، رقم الحديث: ٤٣٩)، قال الطبري (د.ت، ج٩: ص٣٢٩) في تفسير هذه الآيات: "يُثيبهم الله يوم القيامة بأحسن أعمالهم التي عملوها في الدنيا، ويزيدهم على ثوابه إيّاهم على أحسن أعمالهم التي عملوها في الدنيا من فضله، فيفضل عليه من عنده بما أحبّ من كرامته لهم"، ويقوم أسلوب التعزيز على مبدأ استثمار حاجات الفرد ورغباته، فالفرد من خلال ممارسة السلوك المرغوب فيه؛ يسعى للحصول على المعززات التي يفضلها؛ تلبيةً لحاجاته وتطلعاته أو إزالةً لبعض التبرمات التي تزعجه. ويقسم أسلوب التعزيز إلى قسمين: تعزيز سلبي وتعزيز إيجابي، ويمكن تعريفهما وبيان عناصرهما، من خلال الآتي:

التعزيز السلبيّ:

يُقصد بالتعزيز السلبيّ: إزالة مثير سلبي أو مؤلم عن الفرد بعد قيامه بالسلوك المرغوب فيه (الخطيب،٢٠١٠، ص: ١٤٧)، ومن هذا القبيل قوله صلى الله عليه وسلم: "تَصدّقوا وداووا مرضاكم بالصدقة؛ فإنّ الصدقة تَدفع عنكم الأعراض والأمراض، وهي زيادة في أعمالكم وحسناتكم" (البيهقي،١٤١٠هـ، رقم الحديث: ٣٥٥٦، ضعيف)، فالمرض بالمقياس البشري السطّحي يعدّ مثيراً سلبيّاً مؤلماً، وبممارسة الفرد لسلوك الصدقة المرغوب فيه؛ يزيلُ الله تعالى بإذنه وإرادته انعكاسات هذا المثير السلبيّ.

التعزيز الإيجابيّ:

يُقصد بالتعزيز الإيجابيّ: إضافة أو ظهور مثير بعد السلوك مباشرة مما يؤدي إلى زيادة احتمال حدوث ذلك السلوك في المستقبل في المواقف المماثلة (الخطيب، ٢٠١٠، ص: ١٤٧)، ومن هذا القبيل قوله تعالى على لسان إحدى ابنتي شعيب عليه السلام: ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي

يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾[القصص:٢٥]، قال الطبري (د.ت، ج١٠: ص: ٥٨) في تفسير الآية: "قالت المرأة التي جاءت موسى تمشي على استحياء: إنّ أبي يدعوك؛ ليثيبك أجرَ ما سقيت لنا"، فالتعزيز الإيجابي يدعم الاستجابات الصحيحة؛ ويسهم بتثبيت السلوك المرغوب فيه وتكراره (نجاتي، ١٩٨٥، ص: ١٥٥).

أنواع المعززات الإيجابية:

تستند عمليّة تقديم المعززات الإيجابيّة على حصافة الفرد الذي يقدّم التعزيز وفقهه وعلى رغبة الفرد الذي يُقدّم له التعزيز وحاجاته، فما يصلح لتعزيز فرد قد لا يصلح بالضرورة لتعزيز فرد آخر، ويمكن ذكر بعض أنواع المعززات الإيجابيّة التي تساهم بدفع الأفراد وتحفيزهم لممارسة سلوكيات الدعم والمساندة، من خلال الآتي:

أولاً: المعززات الأوّلية:

يُقصد بالمعززات الأوّلية: المعززات المرتبطة بحاجات الإنسان الأوّلية: كالطعام، والشراب، وتسمى أيضاً بالمعززات غير الشرطيّة (الروسان، ٢٠٠١، ص: ١٣١)، فعن أنس بن مالك قال: "حَجَم أبو طيبة رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فأعطاه صاعاً من تمرٍ، وأمرَ أهله أنْ يُخففوا عنه منْ خراجه" (البخاري، ١٩٨٧، رقم الحديث: ١٩٩٦)، ولا يتوقع أنْ يقوم الصحابي أبو طيبة بِحَجم الرسول صلى الله عليه وسلم مقابل أجر ماديّ، ولكنّه قام بهذا السلوك كعمل تطوعي يتشرف به بمساعدة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ولكنّ الرسول صلى الله عليه وسلم قام بتعزيزه بمعززات أوّلية (صاعاً من تمرٍ) بعد قيامه بالسلوك مباشرة؛ مكافأةً له على صنيعه وحثّاً له على تكرار هذا السلوك مع كل محتاج بمقدوره أنْ يساعده.

ثانياً: المعززات الاجتماعيّة:

يُقصد بالمعززات الاجتماعيّة: مجموع المعززات اللفظيّة وغير اللفظيّة التي تقدّم للفرد بعد قيامه بالسلوك المرغوب فيه؛ تحفيزاً له على ممارسته وتكراره. ويمكن ذكر أمثلة على المعززات الاجتماعيّة اللفظيّة وغير اللفظيّة، من خلال الآتي:

أ- المعززات اللفظيّة:

تُحفزُ ألفاظ المدح والثناء التي تعقب السلوك المرغوب فيه الفردَ للقيام بهذا السلوك وتكراره، فعن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "منْ صُنع إليه معروف؛ فلْيجزه، فإنْ لم يجد ما يُجزيه فليثن عليه، فإنّه إذا أثنى عليه فقد شكره، وإنْ كتمه فقد كفره، ومن تحلّى بما لم يعط فكأنّما لبس ثوبي زور" (البخاري، ١٩٨٩، رقم الحديث: ٢١٥، صحيح)، فالرسول صلى الله عليه وسلم يوجه إلى ضرورة تعزيز الأنماط السلوكيّة الإيجابيّة بمجموعة من المعززات من بينها المعززات اللفظيّة؛ فهي تدفع الفرد المعَزز إلى ممارسة هذه الأنماط السلوكيّة وتعميمها في المواقف المشابهة (فليثن عليه)، أمّا تجاهل الأنماط السلوكيّة الإيجابيّة وعدم تعزيزها؛ فقد يؤدي إلى إطفائها (وإنْ كتمه؛ فقد كفره).

ب- المعززات غير اللفظيّة:

تشتمل المعززات غير اللفظيّة على: الإنتباه، وتعبيرات الوجه، والاتصال البصري، والتربيت على الكتفين، والقبول الاجتماعي، ومن الأمثلة على التعزيز من خلال تعبيرات الوجه، ما يرويه عمر بن الخطاب

رضي الله عنه: أنّ رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فسأله: أنْ يعطيه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ما عندي شيء، ولكن ابتع علي، فإذا جاءني شيء قضيته، فقال عمر: يا رسول الله قد أعطيته، فما كلّفك الله ما لا تقدر عليه، فكره صلى الله عليه وسلم قولَ عمر، فقالَ رجل من الأنصار: يا رسول الله أنفقْ، ولا تخف من ذي العرش إقلالاً، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعُرف في وجهه البِشر؛ لقول الأنصاري، ثمّ قال: بهذا أمرتُ" (الهيثمي، ١٤١٢هـ، رقم الحديث: ١٧٧٧٩، ضعيف). فالرسول صلى الله عليه وسلم عزز قول الأنصاري رضي الله عنه: بالابتسامة، والفرح، والبِشر (فتبسّم رسول الله صلى الله عليه وسلم)، ثمّ بتأكيد كلامه لفْظاً من خلال قوله: (بهذا أمرت)، وهذا يعدّ تحفيزاً لممارسة سلوك الصدقة وعمليات الدعم والمساندة في كل وقت ومهما كانت الظروف، فالسلوك الإيجابي في الإسلام سلوك عالمي يمكن إنزاله وإسقاطه على كل الظروف والأحوال. وفي قول عمر بن الخطاب لسعيد بن عامر بن حذيم مثال آخر على عمليات التعزيز بالقبول الاجتماعي فقد قال له: إنّ أهل الشام يحبونك، قال: لأنّي أعاونهم وأواسيهم" (ابن حجر، ١٤١٢هـ، ج٣: ص: ١١٠) فالناس يَقْبلون اجتماعيّاً من يمدّ لهم يد العون والمساعدة، كما ويشكّل الشعور بالقبول الاجتماعي تعزيزاً اجتماعياً لهم؛ يدفعهم لممارسة هذه الأنماط السلوكيّة الإيجابيّة وتكرارها؛ محافظةً على تلبية حاجة التقبّل الاجتماعي لديهم.

ثالثاً: المعززات الماديّة:

يُقصد بالمعززات الماديّة: المواد والأشياء التي يرغبها الفرد، وتقدّم له بعد نهاية تأدية السلوك المرغوب فيه، وبالرغم من فاعلية المعززات الماديّة إلاّ أنّ هناك من ينتقدها ويعتبرها رِشاً سلوكيّة (الخطيب، ٢٠١٠، ص: ١٤٩)، ولعلّ التنويع بين المعززات وعدم الاقتصار على المعززات الماديّة فقط، وانتخاب المعززات الماديّة استناداً إلى الحاجة ومتطلبات الموقف السلوكي؛ قد ينفي عن المعززات الماديّة صفة الرشوة السلوكيّة، ويمكن التمثيل على هذا النوع من المعززات، بالمثال الآتي: "لما أغارَ الكفار على لقاح النبي صلى الله عليه وسلم، فصادفهم سلمة بن الأكوع خارجاً من المدينة، تبعهم، فقاتلهم من غير إذن: فمدحه النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: خير رجالتنا سلمة بن الأكوع، وأعطاهُ سهم فارس وراجل" (ابن قدامة، ١٤٠٥هـ، ج:٩ ص: ١٧٤)، فالرسول صلى الله عليه وسلم قام بتعزيز الصحابي الجليل بمجموعة من المعززات الاجتماعيّة والماديّة، فهو أولاً امتدحه وأثنى عليه، وهذا يعدّ تعزيزاً اجتماعيّاً لفظيّاً (فمدحه)، ثمّ وصفه بصفة الخيريّة والأفضلية وهذا كذلك تعزيز اجتماعي (خير رجالتنا)، وأخيراً عززه بمعزز ماديّ مضاعف (وأعطاهُ سهم فارس وراجل)، ويعدّ هذا تحفيزاً للصحابي ولغيره؛ لمبادرة سلوكيات: التعاون، والتناصر، والتآزر، والذبّ عن حمى المسلمين وعن أموالهم وأعراضهم.

رابعاً: المعززات التعاقديّة (الإشتراطيّة):

يُقصد بالمعززات التعاقديّة: تعاقد بين الفرد الذي يُقدّم التعزيز، وبين الفرد المنوي تَعزيزه على نوع المعزز، وحجمه الواجب تقديمه بعد نهاية السلوك المرغوب فيه، فعن إبراهيم التيمي عن أبيه قال: "كنّا عند حذيفة، فقال رجل: لو أدركتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم

لقاتلت معه، فقال حذيفة: أنت كنت تفعل ذلك، لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الأحزاب وأخذتنا ريح شديدة وقر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا رجل يأتينا بخبر القوم؛ جعله الله معي يوم القيامة"؟ قال: فسكتنا، فلم يجبه منا أحد، ثم قال: "ألا رجل يأتينا بخبر القوم؛ جعله الله معي يوم القيامة"؟ قال: فسكتنا، فلمْ يجبه منا أحد، ثمّ قال: فسكتنا، فقال صلى الله عليه وسلم: "قمْ يا حذيفة فأتنا بخبر القوم، ولا تذعرهم"، فلمّا ولّيت من عنده، جعلتُ كأنّما أمشي في حمام حتى أتيتهم، فرأيتُ أبا سفيان يصلي ظهره بالنار، فوضعت سهماً في كبد القوس؛ فأردتُ أنْ أرميه، فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تذعرهم"، ولو رميته لأصبته فرجعت وأنا أمشي في مثل الحمام، فلمّا أتيته صلى الله عليه وسلم، أخبرته: بخبر القوم، فألبسني رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل عباءة كانت عليه يُصلّي فيها، فلمْ أزل نائماً حتى أصبحت، فلمّا أصبحت، قال صلى الله عليه وسلم: "قمْ يا نومان" (ابن حبان، ١٩٩٣، رقم الحديث: ٧١٢٥، إسناده صحيح)، تعاقد الرسول صلى الله عليه وسلم سلوكيّا مع الصحابي الذي يرغبُ بالتطوع لإتيان خبر القوم، بأنْ يجعله الله تعالى مع الرسول صلى الله عليه وسلم يوم القيامة، ولما لم يقدم أحدٌ على هذا العمل التطوعي؛ اختار الرسول صلى الله عليه وسلم حذيفة بن اليمان رضي الله عنه؛ ليقوم بهذا العمل التطوعي، وبقي التعاقد التعزيزي قائماً بين الطرفين، ولما جاء حذيفة رضي الله عنه بخبر القوم؛ عززه الرسول صلى الله عليه وسلم بمجموعة إضافية من المعززات الماديّة والاجتماعيّة؛ تقديراً لجهوده ودفعاً له ولغيره لممارسة هذا السلوك المرغوب فيه في المواقف المشابهة، ومن المعززات الماديّة الإضافية أنْ ألبسه الرسول صلى الله عليه وسلم عباءته لينام فيها، وهذا شرف عظيم لحذيفة رضي الله عنه (فألبسني رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل عباءة كانت عليه)، ومن المعززات الاجتماعيّة الإضافيّة المقدّمة مداعبته صلى الله عليه وسلم لحذيفة رضي الله عنه بقوله: (قمْ يا نومان).

خامساً: معرفة النتائج كمعززات:

تعدّ معرفة الفرد لنتائج أدائه أو عمله مُعززاً قوياً؛ يعملُ على تقوية ظهور السلوك المرغوب فيه(الروسان، ٢٠٠١، ص: ١٣٥)، فالنجاح السلوكي يقود إلى نجاحات سلوكيّة متتالية ومتسلسلة، والإخفاقات السلوكية؛ قد تجر إلى إخفاقات سلوكيّة ونفسية مصاحبه، قال المناوي (١٣٥٦هـ، ج١: ص٢٤٣): "عدم النجاح؛ يؤدي إلى فقد الفلاح"، فالأنماط السلوكيّة المرغوب فيها التي ينجح الفرد في تأديتها وتعود عليه بنتائج إيجابية؛ تدفعه إلى سلسلة من الأنماط السلوكيّة الإيجابية المتصلة، أمّا الإخفاقات السلوكيّة المتكررة؛ قد تطفئ طاقات الفرد وقدراته، وتجرّه إلى التقوقع حول الذات.

سادساً: المعززات الرمزيّة:

يُقصد بالمعززات الرمزيّة: الرموز التي يحصل عليها الفرد بعد تأدية السلوك المرغوب فيه، ويمكن استبدال بعضها بمعززات أخرى، من مثل: النقاط، والنجوم، والكابونات (الخطيب، ٢٠١٠، ص: ١٤٩)، ويدخل تحت هذا النوع من التعزيز أيضاً: الرُتب، والدرجات التكريميّة والشرفيّة والعلميّة. ومنْ قِبَل التعزيز الرُتَبي الشرفي الذي يدخل تحت التعزيز الرمزي، قول النبي

صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب: "مَنْ يأتني بخبر القوم؟ قال الزبير: أنا، ثمّ قال النبي صلى الله عليه وسلم:" من يأتيني بخبر القوم؟" قال الزبير: أنا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إنّ لكل نبي حواريّاً وحواريّ الزبير" [القوم: المراد بنو قريظة من اليهود. حواريّاً: خاصة من أصحابه وخالصا من أنصاره] (البخاري، ١٩٨٧، رقم الحديث: ٢٦٩١). فلمّا تطوع الزبير بن العوام رضي الله عنه بأنْ يأتي بخبر يهود بني قريظة، عززه النبي صلى الله عليه وسلم تعزيزا قبليّا: رتبيّاً وشرفيّاً وتكريميّاً، بأنْ جعله حواريّ الرسول صلى الله عليه وسلم الخاص، ورتبة الحواري، هي: رُتبة الصفوة الخالصة من الأصحاب والأنصار. تدفع المعززات الرمزيّة الكثير من الأفراد؛ للانخراط في العمل التطوعي الاجتماعي، فغالبية من يمارسون العمل التطوعي لا تشكل العوائد الماديّة لهم هدفاً رئيساً بقدر ما يبحثون عن الرّتب الشرفيّة والتكريميّة: الدنيويّة والأخرويّة.

فعاليّة المعززات الإيجابية:

يحسن مراعاة مجموعة من الإجراءات التي تسهم بنجاح عملية التعزيز حال تقديم عمليات التعزيز الإيجابيّة والسلبيّة، من مثل: مناسبة حجم التعزيز لمقدار السلوك، والتنوع في تقديم المعززات، وأنْ تكون المعززات مرغوبة وليست طاردة، وأنْ تكون عملية التعزيز فوريّة وليست مؤجّلة، قالَ ابن تيمية (١٤٠٣هـ، ج١: ص: ٣٦٤): "فالشيء يكمل ويجمّل ويحسن؛ بما يناسبه ويلائمه وينفعه ويلتذّ به، كما يفسد ويقبح بما ينافيه ويضرّه ويتألم به، والأعمال الصالحة، هي: التي تناسب الإنسان، والأعمال الفاسدة، هي: التي تنافيه"، ويشير النص إلى مجموعة من العوامل التي تزيد من فاعليّة التعزيز، والتي يمكن إجمالها بما يلي، أولاً: يجب أن تتناسب كمية التعزيز مع طبيعة الجهد الذي يبذله الفرد في تأدية السلوك المرغوب فيه (بما يناسبه ويلائمه)، ثانياً: يجب تقديم المعززات المتنوعة، فالفرد قد يصيبه الإشباع إذا قُدّم له لون واحد من المعززات، فالمنفعة تكون بتقديم معززات متنوعة (وينفعه)، ثالثاً: يجبْ أنْ يكون التعزيز بالمعززات التي يرغبها الفرد؛ فالمعززات التي أشبع منها لا تثير دافعيته لاكتساب السلوك المرغوب فيه، أمّا المعززات غير المشبع منها فهو يسعى إلى تحصيلها من خلال اكتساب السلوك المرغوب فيه وتقويته وتكراره (ويلتذ به)، رابعاً: يفضل أنْ يكون التعزيز فوريّاً؛ لأنّ فاعلية التعزيز الفوري أكثر من فاعلية التعزيز المؤجّل، قال صلى الله عليه وسلم: "ومن صنع إليكم معروفاً؛ فكافئوه" (سبق تخريجه)، والفاء في "فكافئه" للسرعة والتعقيب.

يعد أسلوب التعزيز بقسميه: الإيجابي والسلبي، من أنْجع أساليب التحفيز والدفع السلوكي، فهو يقوم على مبدأ تقديم المثيرات الإيجابيّة أو سحب المثيرات السلبيّة؛ دفعاً لممارسة الأنماط السلوكيّة المرغوب فيها، وفي أسلوب التعزيز مساحة واسعة لاختيار أفضل المعززات التي تتناسب وحاجات الفرد وتطلعاته ورغباته، فأسلوب التعزيز يُلبّي حاجات الفرد ويقوم بتشكيل الأنماط السلوكيّة المرغوب فيها لديه ويدعمها، وحتى تؤدي عملية التعزيز نتائجها المطلوبة لابد منْ أنْ يتناسب حجم التعزيز مع قيمة العمل السلوكي، وأنْ يتم تقديم معززات متنوعة وعدم الاكتفاء بنوع واحد من المعززات، وأنْ تكون المعززات جاذبة لا طاردة، ومع مراعاة التركيز على التعزيز الفوري، والتدرج من التعزيز المادي إلى التعزيز الاجتماعي.

الخاتمة:

يحفّز الفقه الإسلامي الأفراد والمجموعات لممارسة الأعمال التطوعيّة المرغوب فيها اجتماعيّاً من خلال تبنية وتطبيقه لمجموعة من الإجراءات السلوكيّة المتمثلة بالآتي:

١. تفعيل مبادئ التجمع والإجتماع القائمة على أساس المنهج الصحيح المتبع، وتذويب مسببات الاختلاف والتشتت في بوتقة الايدولوجيا؛ وصولاً بالمجتمع المسلم إلى مفهوم الجسد الواحد الذي تتداعى له كل الأعضاء والأطراف والأوصال؛ تحقيقاً للمصلحة ودفعاً للمضرة.

٢. توسيع القواسم المشتركة بين الأفراد والمجموعات؛ تحفيزاً لتكامل الأدوار والأعمال؛ بغية النهوض بالفرد والمجتمع معا بصورة متوازنة؛ تحقيقاً لمقام الخيريّة والشهود الحضاري المسئول، وتذويباً لكل إثنيات التنافر المرسّخة لمبادئ: السلبيّة والتنازع والفشل الحضاري.

٣. ترسيخ الفهم الصحيح لسنن المداولة ترسيخاً مهتدياً مستنداً إلى المصدر الإيديولوجي؛ تحقيقاً لمبادئ وقيم: التعاون، والتناصر، والتكاتف، والترابط المجتمعي على المستويات: العلميّة والنظريّة، واستثماراً لأقدار الله تعالى استثماراً إيجابيّاً يحقق غايات الاختبار والابتلاء الإلهي، وعَملاً على إيجاد سلسلة متصلة ومتداخلة ومتبادلة من أفعال الخير الدائرة؛ الأمر الذي يؤصّل في المجتمع المسلم لثقافة المسارعة إلى فعل الخيرات، وتوسعةً كذلك لمخرجات فعل الخيرات، لتشمل جميع الحلقات: الفرديّة، والمجتمعيّة، والإنسانيّة؛ تعميماً للفائدة؛ وحتى يتبادل الجميع منافع أعمالهم الخيّرة.

٤. تكوين نماذج الأسوة المهتدية القائمة على مبادئ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتي تَستخدمُ أساليب التحفيز: الحيّة والرمزيّة والتشاركيّة؛ لتحفيز الأفراد لممارسة الأنماط السلوكيّة المرغوب فيها، والانخراط المهتدي بالنسق الاجتماعي العام؛ بغية تحويل الأفراد إلى نماذج سلوكيّة مهتدية يصلح الإقتداء بها إجتماعيّاً.

٥. تشكيل الأنماط السلوكيّة المرغوب فيها، من خلال تحديد السلوكيات النهائية المراد تحقيقها، ثمّ تجزئتها إلى سلوكيات فرعيّة ذات صلة بالسلوكيات النهائية، ثمّ الانتقال من حلقة سلوكيّة إلى أخرى بأسلوب متدرج وممنهج، يراعي طاقات الفرد وقدراته وجميع ظروفه، وفي كل حلقة سلوكيّة يجتازها الفرد تقدم له المعززات المناسبة؛ تحفيزاً له على مواصلة السلاسل السلوكية، وصولاً إلى السلوك النهائي المرغوب فيه القابل للبقاء والديمومة بعد زوال المثير.

٦. تفعيل استخدام أسلوب الحث السلوكي بأقسامه: اللفظيّة والإيمائيّة والجسميّة؛ لاستنهاض طاقات الأفراد وقدراتهم للاستجابة للمثيرات السلوكية بسرعة وإتقان؛ بغية تحقيق الأنماط السلوكية المرغوب فيها إجتماعيّاً، ثمّ تعزيزها تعزيزاً متنوعاً؛ حثاً لهم على ديمومة ممارسة الأنماط السلوكية المرغوب فيها وتكرارها.

٧. تعزيز الأنماط السلوكيّة المرغوب فيها اجتماعيّا: إيجابيّاً أو سلبيّاً: فورياً ومتنوعاً وجاذِباً، ومتدرِجاً، ومتناسباً مع قيمة العمل السلوكي المرغوب فيه؛ بغية ديمومة ممارستها وتكرارها.

قائمة المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. ابن القيم، محمد، (١٩٧٣). مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ط٢، بيروت: دار الكتاب العربي.

٣. ابن القيم، محمد، (د.ت). الرسالة التبوكية زاد المهاجر إلى ربه، (د.ط)، جدة: مكتبة المدني.

٤. ابن تيمية، أحمد، (١٤٠٣هـ). الاستقامة، ط١، المدينة المنورة: جامعة الإمام محمد بن سعود.

٥. ابن تيمية، أحمد، (١٩٧٩). العبودية، بيروت: المكتب الإسلامي.

٦. ابن تيمية، أحمد، (١٣٨٦هـ). الفتاوى الكبرى، ط١، بيروت: دار المعرفة.

٧. ابن تيمية، احمد، (د.ت-أ). كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه، ط٢، مكتبة ابن تيمية.

٨. ابن تيمية، أحمد، (د.ت-ب). مجموع الفتاوى، الرياض: مطابع الرياض.

٩. ابن حجر، أحمد العسقلاني، (١٣٧٩هـ). فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت: دار المعرفة.

١٠. ابن حجر، أحمد العسقلاني، (١٤١٢هـ). الإصابة في تمييز الصحابة، ط١، بيروت: دار الجيل.

١١. ابن قدامة، عبد الله بن احمد المقدسي، (١٤٠٥هـ). المغني، ط١، بيروت: دار الفكر.

١٢. ابن نجيم، زين الدين الحنفي، (د.ت). البحر الرائق، ط٢، بيروت: دار المعرفة.

١٣. أبو السعود، محمد، (د.ت). إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

١٤. ابو داود، سليمان بن الأشعث، (د.ت). سنن أبي داود، دار الفكر.

١٥. الألوسي، محمود، (د.ت). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي.

١٦. البخاري، محمد بن إسماعيل، (١٩٨٧). الجامع الصحيح، ط٣، بيروت: دار ابن كثير، اليمامة.

١٧. البخاري، محمد بن إسماعيل، (١٩٨٩). الأدب المفرد، ط٣، بيروت: دار البشائر الإسلامية.

١٨. البستي، محمد بن حبان، (١٩٩٣). صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة.

١٩. البيهقي، احمد بن الحسين، (١٤١٠هـ). شعب الإيمان، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية.

٢٠. البيهقي، أحمد بن الحسين، (١٩٩٤). سنن البيهقي الكبرى، مكة المكرمة: مكتبة دار الباز.

٢١. الترمذي، محمد بن عيسى، (د.ت). الجامع الصحيح سنن الترمذي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٢٢. الحاكم، محمد، (١٩٩٠). المستدرك على الصحيحين، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية.

٢٣. الخطيب، جمال، (٢٠١٠). تعديل السلوك

الإنساني، ط٢، عمان: دار الفكر.

٢٤. الخطيب، جمال، (د.ت). تعديل سلوك الأطفال المعوقين، (د.ط)، عمان: إشراق للنشر والتوزيع.

٢٥. الخطيب، جمال؛ الحديدي، منى، (٢٠٠٩). مناهج وأساليب التدريس في التربية الخاصة، ط١، عمان: دار الفكر.

٢٦. الروسان، فاروق، (٢٠٠١). مناهج وأساليب تدريس ذوي الحاجات الخاصة، ط١، الرياض: دار الزهراء.

٢٧. السرخسي، شمس الدين، (د.ت). المبسوط، بيروت: دار المعرفة.

٢٨. الشاطبي، إبراهيم، (د.ت). الموافقات في أصول الفقه، (د.ط)، بيروت: دار المعرفة.

٢٩. الشعراني، عبد الوهاب، (١٩٧٣). لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمديّة، ط٢، مصر: شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

٣٠. الصنعاني، عبد الرزاق، (١٤٠٣هـ). مصنف عبد الرزاق، ط٢، بيروت: المكتب الإسلامي.

٣١. الطبراني، سليمان بن أحمد، (١٤١٥هـ). المعجم الأوسط، القاهرة: دار الحرمين.

٣٢. الطبراني، سليمان بن أحمد، (١٩٨٣). المعجم الكبير، ط٢، الموصل: مكتبة العلوم والحكم.

٣٣. الطبري، محمد، (د.ت). جامع البيان عن تأويل آي القرآن، بيروت: دار الكتب العلمية.

٣٤. العظيم آبادي، محمد، (١٤١٥هـ). عون المعبود شرح سنن أبي داود، ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية.

٣٥. الغزالي، محمد بن محمد، (د.ت). إحياء علوم الدين، بيروت: دار المعرفة.

٣٦. القشيري، مسلم بن الحجاج، (د.ت). صحيح مسلم، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٣٧. المرداوي، علي بن سليمان، (د.ت). الإنصاف، بيروت: دار إحياء التراث.

٣٨. المقدسي، محمد بن مفلح، (١٤١٧هـ). الآداب الشرعية، ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة.

٣٩. المناوي، عبد الرؤوف، (١٣٥٦هـ). فيض القدير شرح الجامع الصغير، ط١، مصر: المكتبة التجارية الكبرى.

٤٠. نجاتي، محمد عثمان، (١٩٨١). القرآن وعلم النفس، بيروت: دار الشروق.

٤١. نجاتي، محمد عثمان، (١٩٨٥). علم النفس في حياتنا اليومية، ط١٢، الكويت: دار القلم.

٤٢. النسائي، أحمد، (١٩٨٦). المجتبى من السنن، ط٢، حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية.

٤٣. النووي، يحيى، (١٣٩٢هـ). المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٤٤. الهيثمي، علي بن أبي بكر، (١٤١٢هـ). مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، بيروت: دار الفكر.

The Incentives of the Voluntary Behavior in the Islamic Jurisprudence

R. G. R. Al-Amrat[1] and M. G. R. Al-Amrat[2]

Department of Islamic education - Yarmouk University - Jordan[1]

Department of Special Education - Faculty of Educational Sciences - Jadara University - Jordan[2]

Abstract

This study aims at answering its following main question: What are the incentives of the voluntary behavior in the Islamic jurisprudence? The answer to this question is divided into seven investigations showed that the Islamic jurisprudence motivates the individuals and groups to practice the behavioral patterns which are socially accepted by: activating the principles of assembly and gathering, expanding the common ground between the individuals and groups, establishing the proper understanding to the ways of deliberation, and forming of faithful models based on the principles of the promotion of virtue and the prevention of vice. Moreover, it uses the behavioral formation, behavioral encouragement, and behavioral reinforcement to promote the individuals and groups to practice the socially accepted behavioral patterns.

Keywords: Incentives, Motivation, Modeling, behavioral formation, behavioral encouragement, behavioral reinforcement.